مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (2)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (2) 2016

مُناقَدَةُ نَصٍّ نقديٍّ قديم

الدكتور ناصيف محمَّد ناصيف*

(تاريخ الإيداع 17 / 2 / 2015. قبل للنشر في 29 / 3 / 2016)

□ ملخّص □

يُناقِدُ هذا البحثُ نصّاً نقديّاً قديماً، ورد في (كتاب الأغاني) مشفوعاً بِسَنَدَين؛ إنَّه خبرٌ لِـ (مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريّ)، يقف فيه على شعر (عُمَرَ بن أبي ربيعة) مبيِّناً منزلَته بين معاصريه ونظرائه.

يصف البحث نصَّ (مصعب) مبيِّناً أسلوبه، محلِّلاً عناصره، مفسِّراً مصطلحاته وآراءه النَّقديَّة، متوخِّياً تقرِّي دلالاته من خلال النَّظر في القرائن الشِّعريَّة التي يسوقها، انتهاءً إلى اكتناه الرُّؤية النَّقديَّة التي يصدر عنها بوصفها رؤيةً نقديَّةً رائدةً تمثِّل نهجاً طارفاً في التَّفكير النَّقديِّ عند العرب؛ ذلك أنَّ خبر (مصعب) أوَّل نصٍّ نقديٍّ عربيٍّ قديم يُجمِلُ وجهةَ نظر التَّلقِّي في مجمل تجربةٍ إبداعيَّةٍ؛ فلا يكتفي بالأحكام الانطباعيَّة التَّأثُّريَّة التي كانت سائدةً في عصره، ولا يكتفي بالبيت والبيتين والثَّلاثة في الاستدلال على آرائه، كما جرت العادة، بل يقرأ مجمل نتاج عمر الشِّعريَ (ديوان عمر) بوصفه نصّاً واحداً، يُرَدِّدُ فيه نظره، ويجيل فيه عقله، محاولاً الكشف عن أسرار تميُّزه وتفوُّقه على نصوص معاصريه، ولعلَّه بذلك أوَّل نصٍّ نقديٍّ عربيٍّ يترسَّم (البصمةَ الأسلوبيَّة) الخاصَّة بمبدعٍ متفوِّقٍ، من خلال تفاعل المبدع والمتلقِّي في ساحة النَّصِّ.

الكلمات المفتاحيَّة: شعر، تشخيص، تجسيد، عمر، مصعب.

* أستاذ مساعد النّقد العربيّ القديم ، قسم اللغة العربيّة، كلّيّة الآداب، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (2)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (2) 2016

Criticizeability of a Classical Critical Text

Dr. Nassif Muhammad Nassif*

(Received 17 / 2 / 2015. Accepted 29 / 3 / 2016)

□ ABSTRACT □

The current research criticizes a classical critical text that appeared in (The Book of Al- Aghani) with two supportive clues: it is reflection to (Musa'b Ibn Abdullah al-Zubeiri), in which it handles the poetry of (Umar Ibn Abi Rabiaa) and highlights his position among contemporaries and peers.

This research describes (Musa'b's) text: it discloses the style, analyses the constituents, interprets the critical terms and viewpoints, tends to pursue the implications through scrutinizing the proposed poetical coexistences, up towards conceptualizing the emerging critical insight-being a critical insight that represents a creative approach within the critical thinking of Arabs. This is due to that the fact that Musa'b's legacy stands as the primordial classical critical Arabic text that encompasses the receptor's viewpoint in the comprehensive intuitive experience. Nonetheless, it does not consider the influential impressionistic rules that had been concurrent at that age sufficient, neither finds it efficient to have one, two or three lines of verse to pinpoint its viewpoints, as had been the custom. Rather, it studies the wholesome of Omar's literary production (Umar's Anthology) being one single text in which he pours his expertise, thoughtfully penetrates its essence in an attempt to uncover the secrets distinguishability, excellence over its contemporary texts. Therefore, it stands as the first critical Arabic text that examines the (stylistic uniqueness) that characterizes an outstanding creative figure via the creator-receptor interaction over the domain of the text.

Keywords: Poetry; Personification; Embodiment; Umar; Musa'b.

* **Associate Professor. Classic Criticism. Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities; University of Tishreen, Lattakia, Syria.**

مقدّمة:

اجتذبت رؤوسُ الموج أنظارَ كثيرٍ من دارسي النّقد العربيّ القديم؛ فتمحورت جهودهم حولَ المعروفِ من الأعلام، والمشهور من المؤلّفات والرّؤى، بيد أنّ الإنجازات الكبرى لم تكن يتيمةً، وإنّما هي حصيلةُ تاريخٍ طويلٍ من التّطوّر والتّعثُّر والجهود المتلاحقة المتراكمة؛ إنّها بناءُ ثانٍ على أوّل، وفي بطون الكتب المتقدّمة والمتأخّرة إشاراتٌ دالّةٌ على ذلك التّاريخ، والتماعاتٌ تضيء ذلك النّمطَ من الرّسائل والأمالي والأخبار المؤسِّسة التي لم يُقَيَّض لها التّجليّ في كتبٍ مستقلّةٍ؛ كصحيفة بِشْرِ بنِ الْمُعْتَمِر التي نَثْقُفُها في تضاعيف (البيان والتّبيين) للجاحظ، و(العمدة في محاسن الشعر وآدابه) لابن رشيقٍ القيروانيّ، والأخبار النّقديّة المبثوثة في تضاعيف أمّات كتب الأدب، ولعلّ (كتاب الأغاني) لأبي الفرج الأصفهانيّ أضخمُ مصدرٍ أدبيٍّ قديمٍ أنقذ تلك الأخبارَ من براثن الضّياع، فخلّدها برواياتها المتعدّدة، مشفوعةً بأسانيدها. وينبِّه ابن خلدون (ـ 808 هـ) على أهمِّيَّة (كتاب الأغاني) بقوله: « ولَعمري إنّه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كلِّ فَنٍّ من فنون الشِّعر والتّاريخ والغِناء وسائر الأحوال، ولا يُعْدَلُ به كتابٌ في ذلك فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب، ويقف عندها، وأنّى له بها؟»[1].

طرائق البحث و موادُّه:

يرتقد هذا البحثُ خبراً نقدياً قديماً لم ينل ما يستحقّه من عناية الدّارسين[2]، على الرّغم من أهمّيّته في الكشف عن نهجٍ طارفٍ من التّفكير النّقديّ؛ محاولاً الغوص على الرّؤية النّقديّة التي يصدر عنها، وموقعَها من سيرورة الدّرس النّقديّ القديم عند العرب، لعلّه بذلك يحفز إلى قراءاتٍ أخر تتقُّب في أرض المدوَّنة النّقديّة العربيّة القديمة، وتنعم النّظر في أبكار لُقاها المعرفيّة؛ فتجلوها، وتفيد من دُرِّها المكنون، ومن ثمراتها اليانعة.

تنتمي موادّ البحث إلى حقولٍ معرفيّةٍ متفاعلة؛ هي: التّاريخ، والإبداع، والتّلقّي النّقديّ؛ إذ يدرس خمساً وعشرين صفحةً متتاليةً من (كتاب الأغاني)؛ تضمّ خبراً نقديّاً طويلاً رواه الأصفهانيّ(284 ـ 356هـ) مشفوعاً بسندين مرفوعين إلى مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْرِيّ(156 ـ 236هـ) الذي يُجْمِلُ وجهةَ نظر التّلقّي النّقديّ في شعر عمر بن أبي ربيعة، ثمّ يفصِّلُها مؤكِّدةً بقرائن نصّيّة من ديوان عمر. وعليه ينتحي البحثُ سمتاً وصفيّاً تحليليّاً تفسيريّاً ينتهي بالتّقويم؛ فيقف على نصّ الخبر، وأسلوبه، ودلالاته، ويتقرّى أهمَّ الآراء النّقديّة التي يصدر عنها، ويستغور القرائن الشّعريّة التي يسوقها؛ بغية اكتناه المقولات الصريحة والمضمَرة التي ترسم البصمةَ الأسلوبيّةَ المميّزة لمبدعها، وأسرار تفوّقه كما رصدَتْها عينُ التّلقّي النّقديّ آنذاك.

المناقشة:

قال أبو الفرج الأصفهانيّ: « حدَّثني عليُّ بنُ صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب الملقَّب (كَيْلَجَة) [3] قال حدَّثني أبوهفّان[4] قال حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ[1]عن مصعب بن عبد الله الزّبيريّ [2]. وأخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء[3]

---

[1] ***مقدّمة ابن خلدون***، تح. د. علي عبد الواحد وافي، 3 / 1278.

[2] أبدى د.طه حسين إعجاباً كبيراً بهذا الخبر النّقديّ، وأورد شطراً كبيراً منه في: ***حديث الأربعاء***، 1 / 302 ــ 304، وليته وقف على منهجه محلّلاً مفسّراً كاشفاً، ولو فعل لأفادنا فائدةً كبيرةً.

[3] حدّث عن أبي هفّان الشّاعر، و روى عنه أبو الفرج الأصفهانيّ؛ ينظر: الخطيب البغداديّ، ***تأريخ بغداد***، 13/396 ـ397.

[4] أبو هِفَّان المِهْزَمي(ـ257هـ)؛ عبد الله بن أحمد بن حرب المهزميّ العبديّ: راوية، عالم بالشّعر والأدب، شاعر، من أهل البصرة، سكن بغداد. وأخذ عن الأصمعيّ وغيره؛ ينظر: ***تأريخ بغداد***، 5/11، والزّركليّ، ***الأعلام***، 65/4.

قال حدَّثنا الزُّبير بن بكَّا ر[4]عن عمِّه مصعب أنّه قال: راقَ عمر بن أبي ربيعة النّاسَ وفاق نُظراءه وبَرَعَهم بسهولة الشِّعر وشدَّة الأَسْرِ، وحُسْنِ الوصف، ودقَّة المعنى وصواب المصدر، والقَصْدِ للحاجة، واستنطاق الرَّبع، وإنطاق القلب، وحُسن العزاء، ومخاطبة النّساء[5]، وعفَّة المقال، وقلَّة الانتقال، وإثبات الحجّة، وترجيح الشّكّ في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار، وفتْح الغَزَل، ونهْج العِلل [6]. وعَطَفَ[7]المساءَةَ على العُذَّال، وأحسنَ التَّفَجُّع، وبخَّل المنازل، واختصر الخبر، وصَدَق الصّفاء، إنْ قَدَح أَوْرى، وإن اعتذر أَبْرا، وإن تشكَّى أشجى، وأَقْدَمَ عن خبرة ولم يعتذر بغرَّة، وأسَر النّوم، وغمَّ الطَّيْرَ، وأَغذَّ السَّيْر، وحيَّرَ ماءَ الشَّباب، وسهَّل وقوّل [8]، وقاس الهوى فأربى؛ وعصى وأخلى، وحالف بسَمْعِه وطَرْفِهِ، وأَبْرَمَ نَعْتَ الرُّسُلِ وحَذَّرَ[9]، وأعلن الحُبَّ وأَسَرَّ، وبطَن به وأظهره، وأَلَحَّ وأَسَفَّ، وأَنْكَحَ النَّوْمَ، وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه[10]، وأذلَّ صعبه، وقنع بالرَّجاء من الوفاء، وأعلى قاتله، واستبكى عاذله [11]، ونفَّض النَّوم، وأغلق رهن مِنًى وأهدر قتلاه، وكان بعد هذا كلِّه فصيحاً. فمن سهولة شعره[12]

---

[1] ابن النّديم الموصليّ(150 ــ 235هـ)؛ أبو محمّد: من أشهر ندماء الخلفاء. تفرّد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتّاريخ وعلوم الدّين وعلم الكلام، راوياً للشّعر حافظاً للأخبار، شاعراً، أخذ الأدب عن الأصمعيّ وأبي عبيدة. له تصانيف من أفراد الدّهر أدباً وظرفاً وعلماً. فارسيّ الأصل، مولده ووفاته ببغداد. روى عنه مصعب بن عبد الله الزّبيريّ، والزّبير بن بكّار، وغيرهما؛ ينظر: الأصفهانيّ، *كتاب الأغاني*، 242/5 ــ 245، وابن خلّكان، *وفيات الأعيان*، 202/1 ــ 204، *والأعلام*، 292/1.

[2] هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير بن العوّام؛ أبو عبد الله الزّبيريّ المدينيّ (156 ــ 236هـ): علّامة بالأنساب، غزير المعرفة بالتّاريخ، وأيّام العرب. كان أوجه قريش مروءةً وعلماً وشرفاً. وكان ثقةً في الحديث، شاعراً. ولد بالمدينة، وسكن بغداد، وحدَّث فيها عن مالك بن أنس وغيره، وروى عنه ابن أخيه؛ الزّبير بن بكّار، وغيره؛ ينظر: *تأريخ بغداد*، 138/15 ــ 141، *والأعلام*، 248/7.

[3] هو أحمد بن محمّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي خميصة؛ أبو عبد الله المكّيّ(ــ 317هـ)، سكن بغداد، وحدّث عن الزّبير بن بكّار، وغيره، وكان ثقةً؛ ينظر: *كتاب الأغاني*، 144/1،27، *وتأريخ بغداد*، 57/6 ــ 58.

[4] أبو عبد الله(ــ 256هـ)؛ من أعيان العلماء، لقي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ؛ ينظر: *وفيات الأعيان*، 311/2.

[5] هذه الفكرة في تفصيل الخبر: ((ومن حسن غزله في مخاطبة النّساء))؛ *كتاب الأغاني*، 127/1.

[6] في تفصيل الخبر: نهج العلل قبل فتح الغزل؛ ينظر: *كتاب الأغاني*، 132/1.

[7] جاءت في نصّ الأصفهانيّ بفتح فتسكين فكسر: عَطْفِ.

[8] في تفصيل الخبر التّقويل قبل التّسهيل؛ ينظر: *كتاب الأغاني*، 142/1.

[9] في تفصيل الخبر إبرام نعت الرّسل منفصل عن التّحذير الذي جاء تالياً في أبيات أخر؛ ينظر: *كتاب الأغاني*، 143/1.

[10] في تفصيل الخبر جنيه الحديث منفصل عن ضربه ظهره لبطنه الذي جاء تالياً في أبيات أخر؛ ينظر: *كتاب الأغاني*، 146/1.

[11] سقطت هذه الفكرة من تفصيل الخبر؛ ينظر: *كتاب الأغاني*، 147/1.

[12] السُّهولة لغةً: ((ضِدُّ الحُزونة، والسَّهْلُ: كلُّ شيءٍ إلى اللِّيْنِ وقِلَّةِ الخُشونة))، ابن منظور، *لسان العرب*، 2134/3،(سهل)، واصطلاحاً: خُلوصُ اللَّفْظِ منَ التَّكَلُّفِ والتَّعقيد والتَّعَسُّف في السَّبك، ينظر: أحمد مطلوب، *معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها*، 511، *ومعجم مصطلحات النّقد العربيّ القديم*، 255، 290.

وشدَّة أَسْرِهِ[1] قولُه:[2]

فَلَمَّا تَـواقَفْ نـا وسَــلَّمْتُ أَشْــرَقَتْ وُجُـوْهٌ زَهَـاهَـا الحُسْـنُ أَنْ تَتَقَنَّعــا
تبَالَهْـنَ بالعِـرْفـانِ لَمَّـا رَأَيْنَنـي وقُلْنَ امْـرُؤٌ بَـاغٍ أَكَـلَّ و أَوْضَعــا[3]

..... ومن حُسن وصفه قولُه:[4]

لَهَـا مِنَ الـرِّيــمِ عَيْنَــاهُ وَ لَفْتَتُهُ ونَخْوَةُ السَّـابِقِ المُخْتَـالِ إِذْ صَهَـلا[5]

ومن دقَّة معناه وصواب مصدره قوله:... ومن ... ومن ... ومن ... وكان بعد هذا كلِّه فصيحاً شاعراً مِقْوَلاً))[6].

لقد عاصر صاحبُ هذا الخبر مصعبُ بن عبد الله الزُّبيريّ (156 ـ 236هـ) محمَّدَ بن سلَّامٍ الجُمَحِيّ (139 ـ 231هـ)، لكنّ حجازيَّ النّشأة بغداديَّ السَّكَن لم يحظ بما حظي به بصريُّ الدّار ابنُ سلّام من الشّهرة، على الرّغم من وفرة مؤلَّفاته[7]، ولعلّ ذلك يرجع إلى أمور؛ منها: بعدُه عن عاصمتي الثّقافة العربيّة آنذاك(البصرة والكوفة)، وتمحورُ جهوده حول النَّسَب والأخبار، وخاصّةً ما تعلَّق منها بقريش، ورجالها، وأشعارها. غير أنّ نشأته في بيئة عمر بن أبي ربيعة ذاتها مكَّنَتْه من معاينة إبداعه عن كثب، ومن معايشة ردود أفعال المتلقّين على نحوٍ لم يكن متاحاً لغيره؛ ولذا نقل عنه الأصفهانيُّ والمرزبانيّ وغيرهما عشرات الأخبار التّاريخيّة والنّقديّة التي أبرزت مكانة عمر بين معاصريه، ونظرائه، وأهل العلم بالشِّعر آنذاك.

أمّا متن هذا الخبر النّقديّ الطّويل فيبدو ـ من حيث الشّكل ـ نسيجاً واحداً، أو كُتَيِّباً نقديّاً من خمس وعشرين صفحة ينتظمها محور واحد؛ هو الإقرار بتفوُّق عمر بن أبي ربيعة على نظرائه، على نحوٍ مُجْمَلٍ مُكَثَّفٍ، يليه التَّفصيلُ، والاستدلالُ بالشِّعر. وأمّا مضمون هذه الصّفحات فنصٌّ نقديٌّ غير مسبوق من حيث شموله مجمل نتاج عمر؛ ولطالما وسم الدَّارسون المحدثون الأحكام النّقديّة، في مرحلة البدايات، بالجزئيّة؛ إذ كانت هذه الأحكام، في معظمها، تستند إلى كلمةٍ، أو فكرةٍ، أو صورةٍ، أو بيتٍ، ثمّ تُعَمَّم الحكم، وغدت صفة الجزئيّة واحدةً من المَسكوكات التي وُصِفَ بها النَّقد العربيُّ في هذه المرحلة، وأنّى لرؤيةٍ جزئيَّة أن تُنتج نقداً غير جزئيٍّ؟

---

[1] و((**الأسر في كلام العرب: الخَلْقُ، والقوّة**))، ***لسان العرب***، **77/1ــ 78 (أسر)؛ ولذا قال الجمحيُّ عن الشَّمّاخ إنّه: ((شدّيد مُتون الشِّعر، وأشدُّ أَسْرَ كَلامٍ من لَبيد، وفيه كَزازةٌ، ولَبيدٌ أَسهَل منه مَنْطِقاً))**. محمّد بن سلّام، ***طبقات فحول الشعراء***، **132/1.وقال مَنْ فَضَّلَ زُهيراً على جميع الشُّعراء: ((إنّه أَمْدَحُ القوم وأَشَدُّهُم أَسْرَ شِعر))**، الدّينوريّ، ابن قتيبة، ***الشّعر والشّعراء***، **144/1. وقيل: إنّ ((أَسْر الشِّعر: أن يكون مؤثِّراً قويّاً))**، ***معجم مصطلحات النقد العربي القديم***، **76. وذهب ناشرو (*كتاب الأغاني*) إلى أنَّ ((المراد من شِدَّة الأَسْر هنا إحكامُ النَّسْجِ ومتانة التَّركيب))**.

[2] ***كتاب الأغاني***، **124/1**.

[3] **عمر بن أبي ربيعة، *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 179: ((تبالهن بالعرفان لمّا عرفنني))؛ تبالهن: أرين من أنفسهنّ البَلَهَ، وما بهنّ بَلَه؛ يريد تَصَنَّعْنَ البلَهَ وتكلَّفْنَه. أكلّ: أعيا؛ أتعب راحلته وأضعفها. أوضع: أسرع في السَّير، أو: سار أشدّ السّير.**

[4] ***كتاب الأغاني***، **125/1**.

[5] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 351: ((لها من الرّيم عيناه وسنَّته))؛ الرّيم: الظّبي الخالص البياض. والسُّنَّة: الوجه، أو هي دائرة الوجه خاصّة. وأراد بالسّابق الحصان، والعرب تصف الخيل بالخُيَلاء وتزعم أنّ اسم الخيل مأخوذ من الخيلاء.**

[6] ***كتاب الأغاني***، **123/1 ــ147. وقد حال طول الخبر دون تدوينه كاملاً؛ فالمقام لا يتَّسع لذلك، ورأينا أن نورد أبعاضه منجَّمةً، بحسب سياق البحث النَّصّيّ، وبما يفي بالغرض.**

[7] **له الكتب الآتية: (*كتاب نسب قريش*)، و(*النّسب الكبير*)، و(*حديث مصعب*).**

على أنَّ هؤلاء الدَّارسين، فيما نعلم، لم يقفوا على لحظة التَّحوُّل في تاريخ النَّقد العربيِّ التي نزعم أنَّ الخبر الذي بين أيدينا يمثِّلها خير تمثيلٍ، ولعلَّه واحدٌ من أقدم الاستثناءات التي لم يكتشفها الدّارسون، أو لم يحيطوها بما تستحقّ من العناية والدّرس؛ فمصعب بن عبد الله الزّبيريّ في هذا الخبر النّقديّ الطّويل ينظر إلى شعر عمر بن أبي ربيعة كلِّه؛ فإذا ما بين دفَّتي ديوان عمر يغدو بين يدي مصعب ، وفي مرأى عينه النّاقدة ، نصّاً واحداً، يجيل فيه الطَّرف، ويعمل أدواته الفاحصة، مستنبطاً بواعث شعريّته، وأسرار تميُّزه في عيون المتلقّين، وتفوّقه على أشعار نظرائه من أهل زمانه. فهذا النّصّ النّاطق بلغة عصره يتضمّن مستويات عدّة من الأحكام التّقويميّة؛ فمنها ما هو ذوقيّ غير معلَّل، ومنها الذَّوقِيُّ المُعَلَّل؛ كما يأتي:

أوَّلاً ــ الأحكام الذَّوقيَّة غير المُعَلَّلة:

وهي أحكام قوامها الاستحسان، أو ما يقاربه من دوالِّ الحُسن، والطُّلاوة [1]، كما نقرأ في قول مصعب: [2]« من حسن عزائه قوله:

أَأَلْحَقُ إنْ دارُ الرَّبابِ تَبَاعَدَتْ أَوِ انْبَتَّ حَبْلٌ أنَّ قَلْبَكَ طَائِرُ [3]
أَفِقْ قَدْ أَفَاقَ العاشِقونَ وفَارَقوا الْـ ـهَوَى وَاسْتَمَرَّتْ بالرِّجالِ المَرائرُ [4]
زَعِ النَّفْسَ واستَبْقِ الحَيَاءَ فإنَّما تُبَاعِدُ أو تُدْنِي الرَّبابَ المَقَادِرُ [5]
أَمِتْ حُبَّها واجعَلْ قَدِيمَ وِصَالِها وَعِشْرَتِها كَمِثْلِ مَنْ لا تُعاشِرُ [6]
وَهَبْها كَشَيْءٍ لم يَكُنْ أو كَنَازِحٍ بِهِ الدَّارُ أو مَنْ غَيَّبَتْهُ المقَابِرُ [7]
وكَالنَّاسِ عُلِّقْتَ الرَّبَابَ فلا تَكُنْ أَحاديْثَ مَنْ يَبْدُو ومنْ هُوَ حَاضِرُ [8]»

وفي قوله: [9]« ومن طلاوة اعتذاره قوله:

عَاوَدَ القَلْبَ بَعْضُ مَا قَدْ شَجَاهُ مِنْ حَبيبٍ أَمْسَى هَوانا هَواهُ[1]
يا لَقَومِي فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَمَّنْ لا تَرَى النَّفْسُ طِيْبَ عَيْشٍ سِواهُ[2]

---

[1] الطَّلاوة بضمّ الطّاء، وفتحها، والضَّمُّ أفصح: الحُسْنُ والبَهجة والقبول، والسِّحْر؛ *لسان العرب* (طلي) 2701/4.

[2] *كتاب الأغاني*، 127/1، والأبيات في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 109 ــ110.

[3] *في شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 109: « أحقّاً لئن دار الرّباب »؛ نسب النّحاة البيت الأوّل إلى حسّان بن يسار النّغلبيّ، وهو من شواهد النّحاة على أنّ انتصاب « حقّاً » و« الحقّ » انتصاب الظّروف... انبتّ: انقطع، وأراد حبل المودّة.

[4] أفق قد أفاق .... واستمرّت بالرّجال: المراد أنّ الرّجال قد أفاقوا واستحكمت عزائمهم وهو يريد أن يسلو سلوهم. المرائر: جمع مريرة؛ وهي العزيمة. واستمرّت المرائر: أي قويت العزائم واشتدّت، ووقع في نسخة « واستمرّت بالرّحيل المرائر ».

[5] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 110: « زع القلب »؛ زع: أمر من « وزعه يزعه » أي كفّه يكفّه ونهاه ينهاه. زع النّفس: ازجرها وكفّها عن هواها. والمقادر: جمع مقدار، وكان من حقّه أن يقول « المقادير » ولكنّه حذف الياء اكتفاء بكسر ما قبلها، ووقع في القرآن الكريم، الأنعام، 59:﴿وعنده مفاتح الغيب﴾، الأنعام/59، فقيل: هو جمع مِفتاح فحذفت الياء من الجمع، وقيل: هو جمع مَفتح، ولا حذف، و« المقادر » تنازعه الفعلان قبله، وهما تباعد وتدني، ويجوز أن يكون فاعلاً لأيّهما شئت، وفي الثّاني ضمير مستتر.

[6] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 110: « وعشرتها أمثال ».

[7] هبها: اعددها واحسبها. ونازح به الدّار: أي بعدت داره عن دارك؛ يريد ظنّ هذه المرأة واحداً من ثلاثة أشياء: إمّا شيئاً لم يكن فأنت لا تعرف عنه شيئاً، وإمّا صديقاً بعدت داره فأنت لا ترتقب رؤيته، وإمّا حبيباً مات فأنت يائس من لقائه.

[8] في شرح *ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 110: « فإن كنت علّقت الرّباب »، وجاء هذا البيت الأخير قبل قوله: « أمت حبّها... »؛ من يبدو ومن هو حاضر: من يقيم في البدو والحضر؛ أراد بمن يبدو ساكن البادية، وبمن هو حاضر سكّان الحاضرة، والمقصود النّاس كلّهم.

[9] *كتاب الأغاني*، 131 ــ 132، والأبيات في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 404.

أَرْســَـلَتْ إذْ رَأَتْ بِعَـــادِيَ أَلَّا ... يَقْبَلَنْ بِي مُحَرِّشاً إنْ أَتَـــاهُ[3]
دُوْنَ أَنْ يَسْـمَعَ المَقَالَـةَ مِنَّـا ... وَلْيُطِعْنِي فـإنَّ عِنْدي رِضَـاهُ[4]
لا تُطِـعْ بِـي فَدَتْكَ نَفْسِـي عَدُوّاً ... لِحَـدِيْثٍ عَـلَـى هَـواه افْتَـراهُ[5]
لا تُطِـعْ بِـي مَـنْ لَو رَآنِي وَإيَّا ... كَ أَسِـيْرَيْ ضَرُوْرَةٍ مَا عَنَـاهُ[6]
مَا ضِرارِي نَفْسِي بِهَجْرِيَ مَنْ لَيْ ... ـسَ مُسِـيْئاً ولا بَعِيْداً ثَراهُ[7]
وَاجْتِنَـابِـي بَيْتَ الحَبِيْبِ وَمَـا الْخُلْـ ... ـدُ بِأَشْـهَى إلَـيَّ مِـنْ أَنْ أَرَاهُ[8]))

وهذا ضرب ممّا جرت به عادة العصر، وما خبرته الذّائقة الفنّيّة، أو أدركته ثقافة (أهل العلم بالشّعر) آنذاك؛ كما نقرأ في قوله: ((وقد أجمع أهل بلدنا ممّن له علم بالشّعر ...))[9]. وكذلك الشّأن في مواضع أخر من هذا الخبر؛ منها: ((من حسن وصفه قوله:...))[10]، و((من حسن غزله في مخاطبة النّساء ...قوله:...))[11]، و((من حسن تفجُّعه قوله:...))[12]. ولا تخرج عن هذا الحكم تلك الآراء القائمة على استجادة معنى من معاني شعر عمر؛ كما نرى في قول مصعب:[13] ((ومن دقّة معناه وصواب مصدره قوله:

عُـوْجَـا نُـحَـيِّ الطَّـلَلَ المُحْـوِلا ... والـرَّبْـعَ مِنْ أَسْمَاءَ و المَنْزِلا[14]
بِسَـابِـغِ البَوْبَـــاةِ لـم يَعْـدُهُ ... تَقَـــادُمُ العَهْـــدِ بِأَنْ يُؤْهَـلا[15]))

وكما تُبدي عباراته الآتية: ((من إثباته الحجّة قوله:...))[16]، و((من نهجه العِلَلَ قوله:...))[17]، و((من فتحه الغَزَلَ قوله:...))[18]، و((من عطفه المساءة على العذّال قوله:...))[19]، و((من اختصاره الخبر قوله:...))[1]، و((من إقدامه

---

[1] شجاه: أحزنه. وأمسى هوانا هواه: أراد أمسينا نحبُّ ما يحبُّه.

[2] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 404: ((وكيف صبريَ... لينَ عيشٍ)).

[3] المحرِّش: المغري، من التّحريش وهو الإغراء والإفساد؛ أي المغري بالعداوة القاصد إلى إفساد ذات البين. يريد أنّها أرسلت تأمرني ألّا أقبل فيها ما يقوله ذوو الحسد لها.

[4] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 404: ((دون أن يعلم المعاذيرَ مِنّي ... أو يُرَى عاتباً فعندي رضاه))، وقد جاء هذا البيت الرّابع ثامناً.

[5] افتراه: اختلقه.

[6] ما عناه: ما أهمَّه، ولا جعله ممَّا يعنى به.

[7] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 404: ((بهجرة... ولا بعيداً نَواهُ))، الثّرى: الخير، والنَّوى: البُعد، والنَّاحية يُذْهَبُ إليها.

[8] جاء هذا البيت الثّامن سادساً في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 404.

[9] *كتاب الأغاني*، 127/1.

[10] *كتاب الأغاني*، 125/1.

[11] *كتاب الأغاني*، 127/1.

[12] *كتاب الأغاني*، 133/1.

[13] *كتاب الأغاني*، 125/1. والبيتان في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 353.

[14] المحول والمحيل: الذي أتت عليه أحوال كثيرة فغيّرته.

[15] البوباة: الفلاة، واسم لصحراء في أرض تهامة. لم يعده: لم يجاوزه، ويؤهل: يكون آهلاً بالسكان.

[16] *كتاب الأغاني*، 1/ 130.

[17] *كتاب الأغاني*، 132/1.

[18] *كتاب الأغاني*، 132/1.

[19] *كتاب الأغاني*، 133/1.

إقدامه عن خُبرة ولم يعتذر بغِرَّة، قوله:...))[2]، و ((من إغذاذه السَّير قوله:...))[3]، و ((من تقويله وتسهيله قوله:...))[4]، و ((من عصيانه وإخلائه قوله:...))[5]، و ((من إبرامه نعت الرُّسُل قوله:...))[6]، و ((من تحذيره قوله:...))[7]، و ((من قناعته بالرّجاء من الوفاء قوله:...))[8]، و ((من إعلائه قاتلَه قوله:...))[9]، و ((من إغلاقه رهن مِنًى وإهداره قتلاه قوله:...))[10].

ولا تلك الآراء الانطباعيّة التَّأثُّريَّة التي نجدها في قوله: ((ممّا قدح فيه فأورى قوله:...))[11]، و ((من شعره الذي اعتذر فيه فأبرا، قوله:...))[12]، و ((من تشكّيه الذي أشجى قوله:...))[13]، ولا تلك الأحكام المبنيّة على معيار أخلاقيّ؛ كما ورد في قوله: ((ومن عفّة مقاله قوله:...))[14]، و ((من صدقه الصّفاء قوله:...))[15]، و ((ممّا ألحَّ فيه وأسفَّ قوله:...))[16].

ولغة الاستحسان في ذلك كلِّه تومئ إلى جودة شعر عمر، وارتقائه مراتبها وصولاً إلى مرتبة التّفوّق، من وجهة نظر المتلقّين عامّة، و مصعب خاصّة، وفي الحالين هي وجهة نظر ذوقيّة انطباعيّة غير معلَّلة، على أنَّ غياب التَّعليل لا يطعن في قدرة مصعب على تذوُّق الشِّعر؛ فالأحكام التي يصدرها تؤكِّد أنَّه ذوَّاقة للشِّعر، يتبيَّن قيمة نصوصه، ودرجة هذه القيمة، أليس الذَّوق قوَّةً حاكمةً على القيم الجماليَّة في ساحة الفَنّ ؟

بلى، بيد أنَّه شرطٌ لازِمٌ غير كافٍ لإتمام الإجراء النَّقديِّ، وقد نبَّه عبد القاهر الجرجانيّ (ـ 471 هـ) على أهمِّيَّة الذَّوق بقوله: ((واعلَمْ أنَّه لا يُصادف القولُ في هذا الباب موقعاً من السَّامع، ولا يجد لديه قبولاً حتَّى يكون من أهل الذَّوق والمعرفة))[17]؛ فعبد القاهر قرن الذَّوق بالمعرفة، بيد أنَّ الأهمَّ في نَصِّ عبد القاهر هو تقديمه الذَّوق على المعرفة، ألم يُقَدِّموا ما هم به أعنَى[18] ؟

ويغدو تفوُّق عمرَ أوضح عند تتبُّع بصمات الشَّحْنِ الأسلوبيّ؛ أي لدى الحديث عن الابتكار، أو السَّبق وابتداء الصّنعة؛ ولعلّنا لا نسرف بزعمنا أنّ السّبق الفنّيّ لا الزّمنيّ ـ أي ابتداء الصّنعة ـ عماد الشّعرية، ومعيار التّفاضل بين الشّعراء، وقد أدرك جانباً من ذلك عصر مصعب؛ فصنّف الجمحيُّ فحولَ الشّعراء في طبقاتٍ، وبنى

---

[1] ***كتاب الأغاني*، 135/1.**

[2] ***كتاب الأغاني*، 140/1.**

[3] ***كتاب الأغاني*، 141/1.**

[4] ***كتاب الأغاني*، 142/1.**

[5] ***كتاب الأغاني*، 142/1.**

[6] ***كتاب الأغاني*، 143/1.**

[7] ***كتاب الأغاني*، 143/1.**

[8] ***كتاب الأغاني*، 146/1.**

[9] ***كتاب الأغاني*، 146/1.**

[10] ***كتاب الأغاني*، 147/1.**

[11] ***كتاب الأغاني*، 136/1.**

[12] ***كتاب الأغاني*، 139/1.**

[13] ***كتاب الأغاني*، 139/1.**

[14] ***كتاب الأغاني*، 128/1.**

[15] ***كتاب الأغاني*، 136/1.**

[16] ***كتاب الأغاني*، 144/1.**

[17] ***كتاب دلائل الإعجاز*، 291.**

[18] **ينظر: سيبويه، *الكتاب*، تح. عبد السّلام هارون، 1 / 34.**

تصنيفه ذاك على بعضٍ ممّا استجاده، وبعضٍ ممّا استحسنته ذائقة المتلقّين وأهل العلم بالشّعر؛ فحفل تصنيفه بالأحكام الذَّوقيَّة غير المعلَّلة، لكنّه ألمح في غير موضع من تصنيفه إلى ((الصّناعة))[1]، و ((الأوّليّة))[2]، و ((السَّبق، والابتداع))[3].

ثانياً ــ الأحكام الذَّوقيَّة المعلَّلة:

وفي هذا المستوى من الاستقصاء نقف على آراء نقديّة معلَّلة، وإن كان التّعليل مضمراً؛ ولا غرو؛ فالتَّعليل كان غائباً عن معظم الأحكام النَّقديَّة في مرحلة البدايات، أما لغته النَّقديَّة فهي حافلة بالمجازات التي نقف عليها وراء الصِّياغة اللغويَّة؛ فالمصطلحات النّقديّة والبلاغيّة لم تكن قد نضجت وقرّت بعد، وكثير منها لم يظهر إلّا بعد زمن طويل من هذه الحقبة ؛ وقد عبّر عنها مصعب بلغة عصره، وهو يشيم بروق العصور المقبلة؛ متجاوزاً أحكام القيمة المرسَلة الصّادرة عن ذوق المتلقّي وعواطفه إلى الأحكام النّقديةّ المعلَّلة، أو المفسَّرة بقرائنَ نَصِّيَّةٍ؛ أي إنّه يغادر فيها أفقَ التّلقّي إلى الآفاق التي يتفاعل فيها المبدع والنَّصُّ والمتلقّي؛ومن ذلك قوله:[4] ((ومن قلّة انتقاله قوله:

أَيُّـها القَـائِـلُ غَيْـرَ الصَّوابِ ... أَمْسِـكِ النُّصْـحَ وَ أَقْلِلْ عِتَابِي
وَاجْتَنِبْنِي و اعْلَمَنْ أَنْ سَتُعْصَى ... وَ لَخَيْرٌ لَكَ طُــوْلُ اجْتِنَابِي [5]
إِنْ تَقُلْ نُصْحاً فَعَنْ ظَهْرِ غِـشٍّ ... دَائِــمِ الْغَمْرِ بَعِيْـدِ الذَّهَابِ [6]
لَيْسَ بِي عِـيٌّ بِمَـا قُلْـتَ إِنِّي ... عَـالِمٌ أَفْقَــهُ رَجْعَ الْجَــوابِ [7]
إِنَّمَـا قُــرَّةُ عَيْنِــي هَـواهَا ... فَدَعِ اللَّوْمَ وَ كِلْنِي لِـمَـ آبِي [8]
لا تَلُمْنِـي في الرَّبَـابِ و أَمْسَتْ ... عَـدَلَـتْ لِلنَّفْسِ بَـرْدَ الشَّرابِ [9]
هِـيَ و اللهِ الـذي هُــوَ رَبِّــي ... صَـادِقاً أَحْلِـفُ غَيْـرَ الكِـذَابِ
أَكْـرَمُ الأَحْيَـاءِ طُـرّاً عَلَينــا ... عِنْدَ قُـرْبٍ مِنْهُـمُ و اجْتِنَابِ [10]
خَاطَبَتْنِـي سَـاعَةً وَ هْيَ تَبْكِي ... ثُمَّ عَـزَّتْ خُلَّتِي فـي الْخِطَابِ [11]
وَ كَفَـى بِـي مِـدْرَهــاً لِخُصُــومٍ ... لَسِــوَاهَا عِنْدَ حَدِّ نَبَـابِـي [12]))

---

[1] ***طبقات فحول الشعراء*، 1/ 5.**

[2] ***طبقات فحول الشعراء*، 1/ 39.**

[3] ***طبقات فحول الشعراء*، 1/ 55.**

[4] ***كتاب الأغاني*، 129/1، والأبيات في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 432 ــ 433.**

[5] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 432: ((واعلمَ ان سوف تُعصى ... بعضُ اجتنابي)).**

[6] **الغِمر: الحقد والغلّ. والغَمر: الماء الكثير، وكلا المعنيين يحتمله البيت.**

[7] **أفقه: أعرف وأعلم. رجع الجواب: ردّه.**

[8] **الشّطر الثّاني مختلّ الوزن، والصّواب ما جاء في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 432: ((وكلني لما بي))؛ كلني: اتركني.**

[9] **عدلت: ساوت. عدلت برد الشّراب: ساوته وكانت عدلاً له.**

[10] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 432: ((عند قرب منهمُ واغتراب)).**

[11] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 432: ((عاتبتني ساعة))؛ عزّت: غلبت. ثمّ عزّت...: أي غلبتني صديقتي في الخطاب.**

[12] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 433: ((وكفاني مدرهاً لخصوم لسواها عند حدّ تَبابِ))؛ المدره: المقدّم في اللسان واليد عند الخصومة. التّباب: الهلاك. واللام في ((لَسِواها)) لام الابتداء، وسواها: مبتدأ خبره الظّرف بعده؛ يقول: إنّني غلّاب الخصوم في المقاولة، وإنّ سواها لفي موطن الهلاك، يريد أنّها وحدها تغلبه وتعزّه في المحاولة والجدال.**

ونزعم أنَّ مصعباً أوَّل من استخدم هذا المصطلح(قلّة الانتقال)، ولعلّه أراد به قلَّة الاستطراد، أو قلّة التّخلُّص بالانتقال من معنى إلى معنى، أو بالخروج من غرض إلى غرض؛ فهذه الدّوالُّ والمصطلحات تصلح وصفاً للظّاهرة الأسلوبيّة التي انتظمت معظم إبداع عمر، ومنه هذا الشّاهد الذي استدلّ به مصعب؛ وهذه السّمة لا تقتصر على نصٍّ، ولا تتَّسع لتشمل مجموعة نصوص من ديوانه الشّعريّ وحسب، بل هي سمة بنائيّة يمكن معها القول إنّ ما بين دفتيّ ديوانه يوشك أن يكون نصّاً واحداً؛ ولذا قيل إنّ برقاً لاح لعمر وصحبه وهم عائدون من تشييع بعض خلفاء بني أميّة، فقال أحدهم: كلُّنا شاعر، فهلمُّوا نَصِف البرقَ، فقال أحدهم:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ لَامِعِ جَرَى مِنْ سَنَاهُ ذُو الرُّبَى فَيُنَابِعُ

وقال الثّاني:

أَرِقْتُ لَهُ لَيْلَ التَّمَامِ وَدُوْنَهُ مَهَامِهُ مَوْمَاةٍ وأَرْضٌ بَلاقِعُ

فقال الثّالث:

يُضيءُ عِضاهَ الشَّوْكِ حتَّى كأنَّهُ مَصَابيحُ أو فَجْرٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ

فقال عمر:

أَيَا رَبِّ لا آلُو المَوَدَّةَ جَاهِداً لأسماءَ فاصْنَعْ بِي الذي أنتَ صَانِعُ

ثمّ قال: **مالي وللبرق والشَّوك؟**[1] فهو شاعر **(مُوْلَعٌ بِالْحُسْنِ يَتْبَعُهُ)**[2]، فلا يحيد عنه، ولا عن تصويره، وتصوير مغامراته في تتبُّعه؛ لذا كان قليل الانتقال عنه في مجمل نتاجه.

ولعلّ (الطّباق)عند اللاحقين هو ما أراده مصعب، وألمح إليه حين رصد ائتلاف المتناقضات في شعر عمر؛ بقوله: [3]((ومن إعلانه الحبّ وإسراره قوله:

شَكَوْتُ إِلَيْهَا الحُبَّ أُعْلِنُ بَعْضَهُ وَ أَخْفَيْتُ مِنْهُ الفُؤَادَ عَلِهلَا[4]))

وقوله:[5] ((وممّا أبطن فيه وأظهر قوله:

حُبُّكُم يا آلَ لَيْلَى قاتِلِي ظهرَ الحبُّ بجسمي و بَطَنْ[6]

ليس حبٌّ فوقَ ما أحببتُكمْ غيرَ أنْ أقتُلَ نفسي أو أُجَنْ))

---

[1] **ينظر: *كتاب الأغاني*، 1/ 155 ــ 156؛ ينابع: اسم مكان أو جبل أو وادٍ في بلاد هذيل. ليل التّمام: أطول ليالي الشّتاء. المهامه: جمع مهمه وهو المفازة البعيدة. والموماة: الفلاة الواسعة. والبلاقع: جمع بلقع وهي الأرض القفر. العضاه: كلّ شجر يعظم وله شوك، وهو كثير الأنواع. وبيت عمر في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 496.**

[2] **ينظر: *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 493؛ قال عمر: ((إنّي امروٌ مولَعٌ بالحُسْنِ أَتْبَعُهُ لا حَظَّ لِي فيهِ إلّا لَذَّةُ النَّظَرِ)).**

[3] ***كتاب الأغاني*، 144/1؛ العبرة: الدّمعة. والغليل: حرقة الباطن من حبّ أو مرض.**

[4] **الشّطر الثّاني مختلّ الوزن، وقد جاء في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 356: ((شكوت إليها ثمّ أظهرت عبرة وأخفيت منها في الفؤاد غليلا))، وفي هذه الحال يتغيّر معنى البيت. ولعلّ الصّواب ما أورده أبو الفرج في موضع آخر من الخبر نفسه؛ وهو قوله: ((شَكَوْتُ إِلَيْهَا الحُبَّ أُظْهِرُ بَعْضَهُ وَأَخْفَيْتُ مِنْهُ فِي الفُؤَادِ غَلِيْلَا))، *كتاب الأغاني*، 146/1.**

[5] ***كتاب الأغاني*، 144/1. و البيتان في *شرح ديوانه*، 285.**

[6] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 285: ((إنّ حبّي آل ليلى قاتلي ... ليس حبّ فوق ما أحببته)). آل ليلى: منادى والجملة اعتراضيّة. وبطن: خفي.**

وكذا عبّر عمّا دعاه المتأخّرون (إخراج الكلام مخرج الشّكّ) [1] بقوله:[2] ((ومن ترجيحه الشّكَّ في موضع اليقين قوله:

نَظَرْتُ إليها بالمُحَصَّبِ مـنْ مِنًى ... و لِي نَظَرٌ لولا التّحـرُّجُ عَــارِمُ[3]
فقلتُ: أَشَمْسٌ أم مَصابيحُ بِيعَةٍ ... بَدَتْ لكَ خَلْفَ السِّجْفِ أم أنتَ حَالِمُ[4]
بَعيدةُ مَهوى القُرْطِ إمّـا لِنَوْفَلٍ ... أَبُـوهَـا وإمّـا عَبْدُ شَـمْسٍ و هَاشِمُ
ومَدَّ عليها السِّجْفَ يومَ لَقِيتُها ... علـى عَجَلٍ تُبَّـاعُهــا و الـخَوادِمُ
فلم أَسْتَطِعْها غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدا لَنَا ... عَشِيَّةَ رَاحَتْ وَجْهُها و المَعَـاصِـمُ[5]
مَعاصِمُ لم تَضرِبْ على البَهْمِ بالضُّحى ... عَصَاها، وَ وَجْـهٌ لَمْ تَلُحْهُ السَّمائِمُ[6]
نُضَـارٌ تَرَى فيهِ أَسَـارِيعَ مَائِـهِ ... صَبِيْـحٌ تُغَـادِيْـهِ الأَكُـفُّ النَّـواعِمُ[7]
إذا ما دَعَتْ أَتْرابَها فاكْتَنَفْنَها ... تَمَـايَلْنَ أو مَـالَـتْ بِهِـنَّ المَـآكِـمُ[8]
طَلَبْنَ الصِّبــا حتَّـى إذا ما أَصَبْنَـهُ ... نَزَعْـنَ وَهُـنَّ المُسْــلِمَاتُ الظَّوالِـمُ))

وقد وقف بعض البلاغيِّين ونقدة الشِّعر على الكناية في البيت الثّالث (بعيدة مهوى القِرط)؛ فذكرها قدامة بن جعفر تحت عنوان (الإرداف) [9]، وتبعه ابن سنانٍ الخفاجيُّ في ذلك [10]، فاكتفيا بالقول: إنَّ الشَّاعر أراد أن يصف طول الجيد، فلم يذكره بلفظه الخاصِّ به، بل أتى بمعنى هو تابعٌ لطول الجيد، وهو بُعْدُ مهوى القرط. وقراءة الرجلين مبتسرة، لا تشفي الغليل؛ فعمر في هذا البيت اتَّخذ من الجمال الحسِّيِّ (طول العنق) مطيَّةً لتصوير جمالٍ من نوعٍ آخر؛ إنَّه الجمال المعنويُّ، إذ يغدو طولُ جيدها دالّاً على مدلولٍ آخر؛ فالسِّياق النَّصِّيُّ يومئ إلى أَنَفَتِها وشَمَمِها، وهذه الأنفة وذاك الشَّمم يُحيلان على مدلولٍ ثالثٍ؛ فإذا ما رأيتَ شموخَها لم تُمارِ في عُلُوِّ نَسَبِها، وعِزَّتِها، وانتمائها إلى سادات قريش، وإلى سَنام المجد والشَّرَف فيها. أمَّا محصول هذه اللَّوحة الفنِّيَّة في الأبيات كلِّها فيقدِّم أنموذجاً للمرأة الّتي يتغزَّل بها عمر؛ فهي امرأةٌ حُرَّةٌ، مُتْرَفَةٌ، مُنَعَّمَةٌ، مَشهودٌ لها بعلوِّ الكعب، وكرم المَحْتِد. وبذلك نلحظ اتِّساقَ الكنايةِ وترجيحِ الشَّكِّ في موضع اليقين؛ فالكنايةُ أَوْقَعُ من الإفصاح بالذِّكْرِ [11]، والشَّكُّ أَبْلَغُ منَ اليقين، وأقدَرُ على التَّأثير في المتلقِّين.

---

[1] **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها ، 50، و معجم مصطلحات النّقد العربيّ القديم ،53.**

[2] **كتاب الأغاني، 1/ 130، والأبيات في شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، 207 ــ 209.**

[3] **عارم: حادّ، خارج عن القصد.**

[4] **البيعة: متعبَّد النّصارى. السِّجف: السِّتر.**

[5] **في شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، 208: ((كفُّها والمعاصم)).**

[6] **البهم: جمع بهمة؛ وهي الصّغير من أولاد الضّأن والمعز والبقر. وأراد بقوله ((لم تضرب على البهم...)) أنّها ليست ممّن يمتهنّ في الخدمة ورعي الأنعام، وأنّها مكفيّة المؤنة في رفاغة العيش. ولم تلحه: لم تغيّره. السَّمائم: ج. سَموم؛ وهي الرّيح الحارّة الشّديدة الحرّ.**

[7] **في شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، 209: ((نضير ترى فيه))؛ أساريع الماء: طرائقه، واحدها أسروع، والمراد أنّه يترقرق فيه ماء الشّباب. النّضار: الخالص من كلّ شيء، والذّهب، ونضير: وصف من النّضارة؛ وهي الحسن. صبيح: مضيء. تغاديه الأكفُّ النّواعم: لا تغفل عن نظافته؛ فيدها النّاعمة لا تزال تمشي على وجهها.**

[8] **الأتراب: ج. ترب؛ وهي اللِّدة المساوية في السِّنّ. اكتنفنها: أحطن بها. المآكم: جمع مأكمة؛ وهي العجيزة .**

[9] **ينظر: نقد الشعر، 156.**

[10] **ينظر: سر الفصاحة، 218.**

[11] **كتاب دلائل الإعجاز، 70، وينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، 523، والقزويني، الإيضاح، 468.**

أمّا قول مصعب:[1] ((ومن قصده للحاجة قوله:

أَيُّهـا المُنْكِـحُ الثُّرَيّـا سُـــهَيْـلا عَمْــرَكَ اللهَ كيـفَ يَـلْتَقِيَـــانِ

هِـيَ شَـــامِيَّـةٌ إذا مَا اسْــتَقَلَّتْ وَسُـــهَيْلٌ إذا اســتَقَلَّ يَمَـانـي))

فيمكن أن يدرج تحت (التّورية) عند المتأخّرين؛ ذلك أنّ ((الثُّريَّا ابنة عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف الأمويّة؛ تزوّجها سهيل بن عبد الرّحمن بن عوف الزّهريّ ونقلها إلى مصر، فقال عمر هذا الشّعر يضرب المثل في الثُّريَّا وسهيل النَّجْمَين المعروفين)).[2]

غير أنّ أهمَّ ابتكارات عمر التي رصدها مصعب هي تلك الصّور الاستعاريّة البارعة القائمة على التّجسيد، والتّشخيص، والأنسنة؛ وقد حفل بها شعر عمر؛ ومن ذلك تجسيد المعقول الذي أشار إليه مصعب بقوله: [3] ((ومن أسْره أسْره النَّومَ قوله:

نـامَ صَحْبـي وبـاتَ نَـوْمِـي أَسِـــيرا أَرْقُـبُ النَّـجْـمَ مَـوْهِناً أَنْ يَغُـورا[4]))

وقوله:[5] ((... وأمّا ما قاس فيه الهوى فقوله:

وَقَـرَّبْـنَ أَسْـــبَابَ الـهَـوَى لِمُتَيَّمٍ يَقيسُ ذِراعاً كُلَّما قِـسْنَ إِصْبَعـا[6]))

وقوله:[7] ((... ومن تنفيضه النَّوم قوله:

فَلَمَّـا فَقَـدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُـمْ وَ أُطْفِئَتْ مَصَـابيـحُ شُـبَّتْ بالعِشَـاءِ وأَنْوُرُ [8]

وَغَـابَ قُـمَيْرٌ، كُنْتُ أَرْجُـو غُيُـوْبَـهُ وَ رَوَّحَ رُعْيَـانٌ، وَ نَـوَّمَ سُـــمَّرُ [9]

ونفَّضْتُ عَنِّي النَّوْمَ، أَقْبَلْتُ، مِشْيَةَ الْـ حُبَابِ، ورُكْنِي، خَشْيَةَ القَوْمِ، أَزْوَرُ[10]))

وهذه صور مبتكرة، سبق عمر إليها نظراءه، ثمّ تجاوزها إلى ما هو أعمق منها، وأغنى، وأجمل؛ إذ ارتقت مخيّلته مراتب السّحر البيانيّ؛ فراحت تشخّص الجوامد، وتؤنسنها، وتنطقها، وتصوّر جيشان مشاعرها، فإذا هي المولّهة

---

[1] ***كتاب الأغاني***،**1/ 125؛ والبيتان في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 503.**

[2] ***كتاب الأغاني*، 125/1 (حاشية التّحقيق).**

[3] ***كتاب الأغاني*، 140/1، والبيت في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 136.**

[4] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 136: ((وبات نومي عسيرا))؛ موهناً: منتصف اللّيل. غار النّجم يغور: مال إلى الغروب، وأراد أنّه ارتقب غروب النّجوم ليزورها في غسق الليل.**

[5] ***كتاب الأغاني*، 142/1.**

[6] **وفي *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 179: ((أسباب الصِّبا)).**

[7] ***كتاب الأغاني*، 147/1، والأبيات في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 96.**

[8] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 96: ((أَنْوُرُ))؛ أنوُر: جمع نار، والصّرفيّون يستدلّون بهذا البيت على أنّه قد يجيء جمع فُعْل المعتلّ العين على أَفْعُل كما يجمع صحيح العين نحو فلس وأفلس وكلب وأكلب وعبد وأعبد، وقياس معتلّ العين أن يجمع على أفعال كثوب وأثواب وبيت وأبيات. أنور: ج. نار.**

[9] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 96: ((كنت أهوى غيوبه))؛ روّح: من الرّواح؛ وهو وقت العشيّ. الرّعيان: ج. راعٍ. نوّم الرّجل تنويماً: مبالغة في نام. روّحوا: عادوا إلى بيوتهم. نوّم: نام، والتّشديد للمبالغة، وكأنّه قال: اشتدّ نومهم. السُّمَّر: القوم يسمرون؛ أي يجتمعون للحديث والسَّمَر ليلاً.**

[10] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 96: ((وخُفِّض عنّي الصَّوت ... وشخصي خشية القوم أزور))؛ الحباب: الحيّة. وخشية القوم مفعول لأجله؛ يريد أنّه لا يسير بادياً ظاهراً مخافة أن يراه أحد، وفي نسخة ((خيفة القوم)). أزور: مائل؛ من زور يزور إذا مال.**

المعنّاة؛ كما تُنبي المواضع الآتية القائمة على إدراك مصعب حيلة التّشخيص والأنسنة في شعر عمر ــ من خلال استعارة أفعال العاقل لغير العاقل ــ دون تسميتها:[1] ((...ومن استِنْطَاقِهِ الرَّبْعَ قوله:

سَـــائِلَا الرَّبْـعَ بِـالبُلَـيّ وقُـوْلَا هِجْتَ شَـوْقاً لِيَ، الغَداةَ، طَوِيْـلَا [2]

أَيْــنَ حَـــيٌّ حَلُّوْكَ إِذْ أَنْتَ مَحْفُـوْ فٌ بِهِـمْ آهِـــلٌ أَرَاكَ جَمِيْـــلَا [3]

قَـالَ: سَــارُوا فَأَمْعَنُـوا وَاسْـتَقَلُّوا وَ بِرُغْمِـي وَلَـو وَجَـدْتُ سَـــبِيْلَا[4]

ويروى: **وَبِـكُرْهِي لَـوِ اسْـــتَطَعْتُ سَـــبِيْلَا**

سَـــئِمُونا وما سَـــئِمْنا جِــواراً وأَحَبُّـــوا دَمَــاثَـــةً وسُـــهُولاَ[5]

... قال إسحاق: أُنْشِدَ جريرٌ هذه الأبيات فقال: إنّ هذا الذي كنا ندورُ عليه فأخطأناه)).

ورأيُ جريرٍ (28 ـ110هـ) هذا إقرار لعمر (23 ـ93هـ) بالسَّبق؛ إذ إنّه في شعره هذا أصاب ضالَّة الشّعراء التي أخطأها معاصروه وسابقوه زمنيّاً. غير أنّ الدِّقَّة تقتضي التّنبيه على أنّ عمر لم يسبق الشّعراء إلى ((استنطاق الرّبع)) كما عبّر مصعب، بل سبقهم إلى إنطاقه؛ ولطالما استنطق شعراء الجاهليّة، وصدر الإسلام، والعصر الأمويّ ــ ومنهم جريرٌ ــ الرّباعَ، والرّسوم، والدّيار المقفرة الدَّارسة، فلم تنطق، فتولَّوا النّطق نيابةً عنها؛ لأنّها لا تتكلّم كما قال زهير بن أبي سلمى:[6]

أَمِـنْ أُمِّ أَوْفَـى دِمْنَـــةٌ لَـم تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَـــةِ الـــدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّـــمِ

أو لأنّها صمٌّ ما يُبين كلامُها كما رآها لبيد:[7]

فَوَقَفْتُ أَسْـــأَلُها وكيفَ سُـــؤالُنـــا صُمّـــاً خَـوالِـدَ مـا يُبيـنُ كَـلامُـها

عجماء، في بعض شعر النّابغة الذُّبيانيّ:[8]

فاســتَعْجَمَتْ دارُ نُعْمٍ ما تُكَلِّمُنـا والـدَّارُ لـو كَلَّمَتْنـا ذاتُ أخبـــارِ

عَيَّت جواباً في بعضه الآخر: [9]

وَقَفْتُ فيهـا أُصَيْـلانـاً أُســـائِلُها عيَّتْ جَـواباً ومـا بالـرَّبْـعِ مـنْ أَحَـدِ

لم تعتد التَّكَلُّمَ؛ كما ينصُّ حُمَيْدُ بن ثَور: [10]

سَـلِ الرَّبْـعَ أَنَّـى يَمَّمَتْ أُمُّ سَـــالِـمٍ وَهَـلْ عَـــادَةٌ للـرَّبْـــعِ أَنْ يَتَكَلَّمَـــا

وَلَـو أَنَّ رَبْـعـاً رَدَّ رَجْعـــاً لِسَـــائِلٍ أَشَـــارَ إِلَـيَّ الـرَّبْـعُ أو لَتَفَهَّمَـــا

---

[1] ***كتاب الأغاني*، 126/1، والأبيات في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 374.**

[2] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 374: ((هجت شوقاً لنا))؛ البليّ: اسم موضع. هجت: أثرت.**

[3] **ويروى الشّطر الثّاني من البيت الثّاني: ((إذ أنت محفوف بهم آهلاً))، وليس بذاك.**

[4] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 374: ((قال: ساروا بأجمعٍ ... وبكرهي لو استطعتُ)).**

[5] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 374: ((وما سئمنا ببينٍ ... وأرادوا دماثة وسهولا))؛ يقال: دمثت الأرض دماثة: سهلت ولانت. وتقول: ((دَمُثَ فلان دماثة)) إذا سهل خلقه.**

[6] **ابن أبي سلمى، زهير، *شرح شعر زهير بن أبي سلمى*، صنعة: أبي العبّاس ثعلب، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة، 16.**

[7] **ابن ربيعة العامريّ، لبيد، *شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ*، حقّقه وقدّم له: د. إحسان عبّاس، 299.**

[8] **الذّبيانيّ، النّابغة، *ديوان النّابغة الذّبيانيّ*، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، 202.**

[9] ***ديوان النّابغة الذّبيانيّ*، 14؛ أي عيَّت بالجواب، فلم تجبني.**

[10] **ابن ثور الهلاليّ، حميد، *ديوان حميد بن ثور الهلاليّ*، صنعة: عبد العزيز الميمني، 7.**

بَكْمَاءُ في شعر حسّان بن ثابت:[1]

أَلَمْ تَســـأَلِ الرَّبْـعَ الجَديدَ التَّكَلُّمَـا بمَدْفَـعِ أَشْـــداخٍ فَبُرْقَـةِ أَظْلَمـــا

أَبَـى رَسْـمُ دارِ الحَـيِّ أنْ يَتَكَلَّمَـا وهل يَنْطِقُ المَعْروفَ مَنْ كانَ أَبْكَما

ولذا تساءل جرير حزيناً:[2]

مـا لِلْمَنــازِلِ لا يُجِبْـنَ حَـزينـــا أَصَمِمْنَ أَمْ قَـدُمَ المَـدَى فَبَلِيْنـــا

فقد عبّر الشّعراء القدامى، من خلال الحزن والشّكوى والسّؤال، عن خيبة الأمل في نطق الرّباع وبقايا الدّيار، إلى أن جاء عمر فشخَّصها، وأنطقها، وأنسنها؛ ذلك أنّ النّطق هنا ليس تصويتاً، وليس تفوُّهاً ببغائيّاً بكلمات مبهمة، بل هو كلام عابق بالمشاعر والعواطف التي ضاق صدر الرّبع ذرعاً بكتمانها، فأخرجها في منطوقه، وهذا، فيما نعلم، لم يسبقه إليه ربعُ أحدٍ من الشّعراء، وهنا سِرُّ ابتكار عمر، وإدراكه الضَّالَّة التي أخطأها الشّعراء كما ينصُّ قول جرير ((إنّ هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه))، وليس ((ما أخطأه الشّعراء هو تحضير الحبّ أو تمدينه))[3]؛ فالتّحضير والتّمدين أمران مشتركان بين عدد من شعراء العصر، وقد سبقهم إليهما امرؤ القيس والنّابغة الذّبيانيّ والمنخّل اليَشكُريّ والأعشى وغيرهم، وإنّما أخطأ الشّعراءُ الإصغاءَ إلى روح المكان، وبوحه بأوجاعه، فراحوا يكرّرون معنًى واحداً لا يحيدون عنه؛ هو أنّ المكان لا ينطق، وإنْ كنّا نستثني من هؤلاء لبيداً الذي أدرك أنّ للصُّمِّ كلاماً لكنّه لا يُبين.

أمّا عمر فأدرك أنّ الهيام والفقد والوجد والشّوق والنُّطق جميعاً عناصر مشتركة، أو قواسم مشتركة بين الشّاعر والقلب والرَّبع؛ وهي لذلك عوامل وحدة في التّجربة الشّعريّة وفي اللغة الشّعريّة؛ فهي تتغلغل في نسغ الشّعر، وتنتظم بنية القصيدة، أو تقود حركتها نحو الأغراض والمقاصد؛ فقد خرج عمر عن السّائد المألوف المكرور، وتجاوز الشّعراء حين ألحَّ على الإصغاء إلى أعماقه، وإلى أعماق الأشياء من حوله، فأنطق قلبه، وأنطق الرّبع، وبَجَّلَ المنازلَ، وغَمَّ الطَّيْرَ، وحَيَّرَ ماءَ الشَّباب، وأَنْكَحَ النَّومَ، وأَسَرَهُ، وجَنَى الحديثَ، وضَرَبَهُ ظهرَه لبطنه، وأذلَّ صعبَه؛ فالتّجسيد، والتّشخيص والإنطاق والأنسنة جميعاً دَيْدَنُ عمر، ونهجه الذي يتجاوز إنطاق الرّبع إلى إنطاق الكون من حوله؛ كأنّه ــ في كثيرٍ من دَأْبِهِ ــ ذاك الطِّفْلُ العبقريّ، يلهو، فيجعل الوجودَ مادّةً طيِّعةً، يُعيد خلقَها، وتشكيلها ، وتلوينها، وتحريكها، والإصغاءَ إليها، أو إنطاقها بما يحبُّ ويشتهي، وهذا ما أدرك بعضَه مصعب، فأشار إليه، ودلّ عليه بالشّواهد الشّعريّة، وإنْ لم يُسَمِّه استعارةً، ولا تجسيداً، ولا تشخيصاً؛ فهذه المصطلحات وأمثالها لم تكن قد وَجَدَتْ سبيلَها بعدُ إلى منطوق النّقّاد والبلاغيِّين، أو مدوَّناتهم، ولم يُرِدْ بذلك اللفظةَ المفردة، ولا الجملة، ولا البيت والبيتين وثلاثة الأبيات، كما جرت عادة سابقيه، لأنّه لم يكن يسعى إلى غايات علميّة تعليميّة، ولم يتوخَّ التَّقعيد والتَّصنيف والتَّأليف في البلاغة ووجوهها وأبوابها، بل كان دأبه الكشف عن الظّواهر الأسلوبيّة المطَّردة في نتاج عمر؛ أي عن ميسم عمر الفنّيّ، وبصمته الأسلوبيّة، وما فاق به غيره، وبذلك سبق مصعب النّقّادَ، كما سبق عمر الشّعراء.

ولعلّنا لا نسرف بقولنا إنّ عمر ــ من خلال الشّواهد التي ساقها مصعب، وأمثالها في إبداعه ممّا لم يشر إليه مصعب ــ أقام نسقاً جديداً من العلاقات والأواصر بين (الأنا) و(الآخر)، على ما في (الآخر) من تنوُّعٍ؛ فمنه

---

[1] **ابن ثابت، حسّان، *ديوان حسّان بن ثابت*، تحقيق: د. وليد عرفات، 34/1.**

[2] **جرير، *ديوان جرير*، شرح: محمّد بن حبيب، تحقيق: د.نعمان محمّد أمين طه، 386/1.**

[3] **أدونيس، *الثّابت والمتحوّل*، 269/1.**

العاقل، وغير العاقل، والمعقول، والمحسوس، والجامد والمتحرِّك؛ كما وجدنا في إنطاقه الرّبع، وكما نجد في قول مصعب:[1] ((ومن إنطاقه القلب قوله:

قـالَ لـي فيـهـا عَتِيْـقٌ مَقـالاً ... فَجَـرَتْ مِمَّـا يَقـولُ الـدُّمـوعُ

قـالَ لـي وَدِّعْ سُـلَيْمَى وَ دَعْهـا ... فـأجـابَ القَلْـبُ: لا أسـتطيعُ[2]))

وقوله:[3] ((ومن تبخيله المنازل قوله:

ألم تسـألِ الأطـلالَ و المُتَـرَبَّعـا ... بِبَطْـنِ حُـلَيَّـاتٍ دَوارِسَ بَـلْقَعَـا [4]

إلى السَّـرْحِ من وادي المُغَمَّـسِ بُدِّلَتْ ... مَعَـالِمُهـا وَبْـلاً و نَكْبـاءَ زَعْزَعـا [5]

فَيَبْخَـلْـنَ أو يُخْبِـرْنَ بالعِلْـمِ بعدَما ... نَكَـأْنَ فُـؤاداً كانَ قِدْمـاً مُفَجَّعـا[6]))

وقوله:[7] ((ومن غَمِّه الطَّير قوله:

فَرُحْنا و قُلْنا للغُـلامِ اقضِ حَاجَـةً ... لنـا، ثـمَّ أَدْرِكْنـا و لا تَتَغبَّـرِ [8]

سِـراعـاً نَغُـمُّ الطَّيْـرَ إنْ سَـنَحَتْ لنا ... و إنْ تَلْقَنـا الـرُّكْبـانُ لا نَتَخَبَّـرِ[9]))

وقوله:[10] ((ومن تحييره ماء الشَّباب قوله:

أَبْـرَزُوهـا مِثْـلَ المَهـاةِ تَهَـادَى ... بَيْـنَ خَمْـسٍ كَـواعِـبٍ أَتْـرابِ [11]

ثُـمَّ قـالـوا: تُحِبُّـهـا؟ قُلْـتُ: بَهْـراً ... عَـدَدَ القَطْـرِ و الحَصَـى و التُّـرابِ[12]

---

[1] ***كتاب الأغاني*، 126/1. والبيتان في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 199.**

[2] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 199: ((فأجاب القلب: أنْ لا أطيع))، و((أن)) تحتمل وجهين: الأوّل أن تكون تفسيريّة، ويكون قد فسّر ((أجاب القلب)) بقوله ((لا أطيع))، وكأنّه قال: أجاب القلب قائلاً لا أطيع، والآخر: أن تكون مخفّفة من الثّقيلة النّاصبة للاسم الرّافعة للخبر، ويكون اسمها ضمير الشّأن، وجملة ((لا أطيع)) خبرها.**

[3] ***كتاب الأغاني*، 134/1 ــ 135، والأبيات في *شرح ديوانه عمر بن أبي ربيعة*، 177 ــ 178.**

[4] **الأطلال: جمع طلل؛ ما بقي شاخصاً مرتفعاً عن سطح الأرض من آثار الدّيار. المتربّع: المنزل يسكنه القوم أيّام الربيع. بطن حليّات: موضع قرب المغمّس الواقع في طريق الطّائف. دوارس: جمع دارس؛ وهو العافي الذّاهب المعالم. البلقع: الخالي الذي لا أنيس به.**

[5] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 177: ((إلى الشَّرْي من وادي المُغَمَّس بَدَّلَتْ معالِمُهُ وَبْلاً))؛ المغمّس: موضع. النّكباء: الرّيح التي تنكب عن مهابّ الرّياح. زعزع: شديدة.**

[6] **نكأ الجرح: قشره قبل أن يلتئم.**

[7] ***كتاب الأغاني*، 141/1، والبيتان في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 105.**

[8] **تتغبَّر: من قولهم: غبّر فلان؛ أي لبث، لا تتغبّر: لا تبطئ، ولا تتمهّل؛ وحرفيّته لا تستبق ممّا تستطيعه شيئاً من الجهد.**

[9] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 105: ((وإن يلقنا الرّكبان))؛ نغمُّ الطّير: نخفي عليها أمرنا؛ من قولهم: غمّ القمر النّجوم: بهرها، وكاد يستر ضوءها، وقيل: نغمّ الطّير: نحزنها بالسّبق، أو نبهرها، ونغلبها. التّخبّر: السّؤال عن الخبر، ولا نتخبّر: لا نسأل الرّكبان لئلّا يعرفوا شأننا. ويروى: ((لاتتخبَّر))، ويروى: ((لا تتحيَّر)).**

[10] ***كتاب الأغاني*، 141/1 ــ 142. والأبيات في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 431.**

[11] **أبرزوها: أظهروها وأخرجوها من خدرها، والمهاة: البقرة الوحشيّة تشبّه بها المرأة في سعة العين. وتهادى: أصله تتهادى، فحذف إحدى التّاءين. والكواعب: جمع كاعب، وهي التي كعب ثديها واكتنز. والأتراب: المساويات في السّنّ.**

[12] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 431: ((عدد النَّجم)). وقوله: ثمّ قالوا.....(البيت) من شواهد النّحاة على جواز حذف حرف الاستفهام، وذلك أنّ قوله ((تحبّها)) على معنى أتحبّها، وبهراً: مصدر بمعنى الغلبة، وكأنّه قال: غلبني حبّها واستولى عليَّ غلباً عظيماً، وقد يكون دعاءً على سائليه، كأنّه قال: بهراً لكم أي تبّاً وهلاكاً، أهذا الأمر الظّاهر يحتاج إلى سؤال؟**

وَهْـيَ مَكْنُـونَـةٌ تَحَيَّـرَ مِنْهَـا في أَديمِ الخَدَّيْنِ ماءُ الشَّبابِ[1]))

أو من خلال استعارة أفعال العاقل للمحسوس والمعقول كما يلمح قول مصعب: [2] ((ومن محالفته بسَمْعِه وطَرْفِهِ قوله:

سَمْعِيْ وَطَرْفِي حَلِيْفَاهَا عَلَى جَسَدِي فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي؟
لَو طَاوَعَانِي عَلَى أَلَّا أُكَلِّمَهَا إذاً لَقَضَّيْتُ مِنْ أَوْطَارِهَا وَطَرِي[3]))

وقوله:[4] ((ومن إنكاحه النّومَ قوله:

حَتَّى إذا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظَلَامُهُ وَنَظَرْتُ غَفْلَةَ كَاشِحٍ أَنْ يَعْقِلا [5]
وَاسْتَنْكَحَ النَّوْمُ الَّذِيْنَ نَخَافُهُمْ وَسَقَى الكَرَى بَوَّابَهُمْ فاستُثْقِلا [6]
خَرَجَتْ تَأَطَّرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّهَا أَيْمٌ يَسِيْبُ على كَثِيبٍ أَهْيَلا[7]))

وقوله:[8] ((ومن جَنْيِهِ الحديثَ قوله:

وَجَوارٍ مُسَاعِفَاتٍ عَلَى اللّهْـ ـوِ مُسِرّاتِ بَاطِنِ الأَضْغَانِ [9]
صُيَّدٍ لِلرِّجَالِ يَرْشُقْنَ بِالطَّرْ فِ حِسَانٍ كَخُذَّلِ الغِزْلانِ [10]
قَدْ دَعَانِي وَقَدْ دَعَاهُنَّ لِلَّهْـ ـوِ شُجُونٌ مُهِمَّةُ الأَشْجَانِ [11]
فَاجْتَنَيْنَا مِنَ الحَدِيْثِ ثِمَاراً مَا جَنَى مِثْلَهَا، لَعَمْرُكَ، جَانِي[12]))

---

[1] جاء البيت الثّالث قبل الثّاني في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 431؛ الأديم: الجلد؛ يريد أنّ ماء الشّباب والفتاء يجري في وجهها.

[2] *كتاب الأغاني*، 143/1. والبيتان في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 117.

[3] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 117: ((لو تابعاني على أن لا أكلّمها))؛ الأوطار: جمع وَطَر؛ وهو الحاجة.

[4] *كتاب الأغاني*، 145/1، والأبيات في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 354 ــ 355.

[5] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 354: ((وَرَقَبْتُ غفلةَ كاشحٍ أن يَمْحُلا))؛ جنّ ظلامه: أي ستر كلّ شيء وأخفاه. والكاشح: العدوّ المظهر للبغض. يمحل: يسعى بيننا بالفساد.

[6] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 354: ((ورمى الكرى بوّابهم فَتَخَبَّلا))؛ أثقله النّوم؛ فهو مستثقل بصيغة اسم المفعول. استنكح النّوم القوم: أراد أنّه قهرهم وغلبهم، وهي عبارة رديئة. والكرى: النّوم. وتخبّل: أصابه الخبل؛ وهو شبه الجنون.

[7] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 355: ((كأنّها ريحٌ تَسَنَّتْ عن كثيبٍ أَهْيَلا))؛ تأطّر: أصله تتأطّر: تتثنّى. الأيم: الأفعوان. يسيب: يمشي. الكثيب الأهيل: الرّمل المنهال.

[8] *كتاب الأغاني*، 145/1ــ 146، والأبيات في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 289 ــ 290.

[9] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 289: ((وجوارٍ مُستَقْتَلاتٍ إلى اللهوِ حِسانٍ كناضِرِ الأغصانِ))؛ الجواري: جمع جارية؛ وهي المرأة. ومستقتلات إلى اللهو: مستسلمات له. تقول ((استقتل الرّجل)) تريد أنّه استسلم للقتل. و((استقتل الرّجل في الأمر)) إذا استمات فيه أو عرّض نفسه للقتل مروءة. وناضر الأغصان: يانعها.

[10] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 289: ((قُتِّلٍ للرّجال))؛ قُتَّل: جمع قَتول، فعول بمعنى فاعل. الخذّل: جمع خاذل؛ وهي الظّبية تتخلّف عن صواحبها أو أولادها. يرشقن بالطّرف: يرمين به كما يرمي الرّامي بالسّهم فيصيب رميته. الطّرف: لحظ العين. الخذّل: جمع خاذل؛ وهو من الظّباء وغيرها ما يتخلّف عن أصحابه وينفرد، ويقال ((خذلت البقرة والظّبية وغيرهما من الدّوابّ، وهي خاذل، وخذول)).

[11] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 290: ((شُجُوْنٌ منْ أَعْجَب الأشجان))؛ مهمّة الأشجان: مثيرة الأشجان.

[12] في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 290: ((فاهْتَصَرْنَا من الحديث غصوناً حيث لا يجتني لعمرك جاني))؛ هصر الغصن: أماله وجذبه ومدّه إلى نفسه.

وقوله:[1] ((ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله:

فِـي خَـلَاءٍ مِـنَ الأَنِيْـسِ وَأَمْـنٍ فَبَثَثْنَـا غَلِيْـلَنَـا وَ اشْـتَفَيْنَـا [2]

وَضَـرَبْنَـا الحَـدِيْثَ ظَـهْـراً لِبَطْـنٍ وَأَتَيْنَـا مِـنْ أَمْـرِنَـا مَـا اشْـتَهَيْنَا [3]

فَمَكَثْنَـا بِـذَاكَ عَشْـرَ لَيَـالٍ فَقَضَيْنَـا دُيُـوْنَنَـا وَ اقْتَضَيْنَـا[4]))

وقوله:[5] ((ومن إذلاله صعب الحديث قوله:

فَلَمَّا أَفَضْنَـا فِي الهَـوَى نَسْـتَبِيْنُهُ وَعَـادَ لَنَـا صَعْبُ الحَـدِيْثِ ذَلُـولَا [6]

شَـكَوْتُ إِلَيْهَا الحُـبَّ أُظْـهِـرُ بَعْضَـهُ وَ أَخْفَيْتُ مِنْهُ فِـي الفُـؤَادِ غَلِيْـلَا[7]))

وإذا تجاوزنا هذه الأحكامَ التّفصيليّة إلى الأحكام العامّةِ التي تستغرق نتاجَ عمرَ، فتقوِّم مجمل تجربته، ثَقِفْنا في بداية الخبر المجمَل قولَ مُصعَبٍ: ((**راقَ عمرُ بن أبي ربيعةَ النَّاسَ، وفاقَ نُظراءه، ويَرَعَهم ...**))[8]، وفي نهاية الخبر المجمَل قوله: ((**وكانَ بعدَ هذا كلِّه فَصيحاً**))[9]، وفي نهاية تفصيل الخبر قوله: ((**وكانَ بعدَ هذا كلِّه فَصيحاً شاعراً مِقْوَلاً**))[10]. وهذه أقوالٌ تستحقُّ التَّأمُّل؛ لأنّها تحمل في جوفها أحكاماً نقديّةً عدَّة:

أَوَّلُها: ((**راقَ عمرُ بن أبي ربيعةَ النَّاسَ**)) ، فأن يروقَ عمرُ النَّاسَ: أن يحظى بإعجابهم [11]متقدِّماً بذلك نظراءه؛ وهذا ثاني الأحكام، أو المقولات النَّقديَّة التي استعان بها مُصعَبٌ في وصف شاعريَّة عُمرَ؛ ((**وفاقَ نُظَراءه**))[12]؛ فالتفوُّق ههنا رتبةٌ فنِّيَّةٌ ترتقي بعمر مراتب عليا من الشَّاعريَّة تُحيل على رُتْبَةٍ فَنِّيَّةٍ ارتقت بشعريَّة إبداعه من الجيِّد إلى الأجود؛ ولذا بَرَعَهم ببراعة شعره [13]. وهنا يَنُصُّ مصعبٌ ثالثَ الأحكام العامَّة في قوله: ((**بَرَعَهُمْ**)).

---

[1] ***كتاب الأغاني*، 146/1. والأبيات في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 305.**

[2] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، 305: ((فشفينا غليله واشتفينا))؛ الأنيس: كلّ من يؤنس به، ويقال ((ما بالدّار من أنيس)) أي ليس فيها أحد. والغليل: حرارة الجوف من عطش أو وجد أو نحوهما.**

[3] **ضربنا الحديث ظهراً لبطن: أي قلبناه على جميع وجوهه التي يحتملها.**

[4] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 305: ((فلبثنا بذاك عشراً تباعاً)).**

[5] ***كتاب الأغاني*، 146/1. والبيتان في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 356.**

[6] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 356: ((نستبثُّه))؛ أفضنا في الهوى: أراد أخذنا في الحديث عن الهوى. ونستبثّه: يطلب كلّ منّا من الآخر أن يحدّثه بما عنده منه. والذَّلول: أصله البعير السّهل المقادة الذي لا يصعب على راكبه، وأراد أنّ ما كان صعباً عليهم هان وتيسّر.**

[7] **في *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة*، 356: ((شكوت إليها ثمّ أظهرتُ عَبرةً وأخفيت منها...))؛ العبرة: الدّمعة. والغليل: حرقة الباطن من حبّ أو مرض.**

[8] ***كتاب الأغاني*، 124/1.**

[9] ***كتاب الأغاني*، 124/1.**

[10] ***كتاب الأغاني*، 147/1. مقول: حسن القول لَسِن. وكثير القول، وبيّن ظريف اللسان؛ *لسان العرب*، (قول)، 3778/5.**

[11] ((الرَّوْقُ: الإعجاب. وراقني الشّيءُ يروقني: أعجبني. ويقال: راقَ فلانٌ على فلانٍ إذا زاد عليه فضلاً يروق عليه. والرَّوق: الجميل جدّاً من النّاس، وروقةُ المؤمنين: أي خِيارهم وسَراتهم))، *لسان العرب*، (روق)، 1781/3.

[12] ((فَوْق: نَقيضُ تَحْت. وفاقَ الشَّيءَ: عَلاه. وفلانٌ يَفُوْقُ قَوْمَهُ أي يَعْلُوهم، وفاقَ الرَّجُلُ صاحِبَهُ: عَلاهُ وغَلَبَهُ وفَضَلَهُ. وفاقَ الرَّجُلُ أصحابَهُ يَفُوقُهُم أي عَلاهم بالشَّرَفِ. وفُقْتُ فلاناً، أي صِرْتُ خيراً منه وأعلى وأشرف؛ كأنّك صرتَ فوقَه في المرتبة))، *لسان العرب*، (فوق)، 3487/5 ــ 3488.

[13] ((بَرَعَ يَبْرَعُ فهو بارعٌ: تَمَّ في كُلِّ فَضيلةٍ وجَمالٍ وفاقَ أصحابَهُ في العلمِ وغيرِه))، *لسان العرب*، (برع)، 260/1.

ورابعها: ((**وكانَ بعدَ هذا كُلِّهِ فَصيحاً**))[1]. والفصاحة لم تكن محدَّدة الدَّلالة في زمن مصعب، فربَّما دلَّت على حسن التَّأليف في اللَّفظة المفردة، وربَّما وافقت البلاغة في الدَّلالة، فوصفوا بها التَّركيب.

والبَراعة والفَصاحة مصطلحان نقديَّان تداولهما نقَّادُنا القدامى بما يقارب الدَّلالةَ اللُّغويَّةَ تارةً، وبما يتجاوزها طوراً. وقد قصرهما بعض نقّادنا على اللّفظ، وجعلهما آخرون من صفات المعنى، ولعلّ أرقى ما أنتجه درسنا النّقديُّ القديم ـ في هذا المقام ـ ما أدركه عبد القاهر الجرجانيّ الذي جعل البراعة والفصاحة والبيان من صفات (شكل المعنى وهيئته وصورته التي يتصوَّر بها)[2]؛ مبيّناً أنّ ((البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة ممّا يُعَبَّرُ به عن فَضْلِ بعض القائلين القائلين على بعضٍ))[3]؛ أي ممّا يقع فيه التَّفاوت، والتَّدَرُّج في مراتب الإبداع. وكذلك هما في كلام مصعبٍ مصطلحان يتجاوزان الدَّلالةَ اللُّغويَّةَ، لِيَدُلَّا على رُتْبَةٍ عُليا تفوَّق فيها عمرُ على معاصريه، في تشكيل المعنى وتصويره، وفي السَّبْقِ إلى معانٍ لم يسبقه إليها أحد؛ ولذا نقرأ في كون عمر معجِباً متفوِّقاً بارعاً فصيحاً شاعراً مِفْوَلاً أنّه كان، من وجهة نظر مصعب والمتلقِّين الذين يعبِّر عن آرائهم مصعب، شاعراً فذّاً، على درجة عالية من الشّاعريّة تفوق شاعريّة معاصريه، فيما تقدَّم من ابتكاراته، وتجاوزاته.

لكنَّ معاصريه وسابقيه تفوَّقوا عليه في ابتكاراتٍ وتجاوزاتٍ أخر كثيرة لم يرصدها الخبر، ولا يتَّسع البحث لرصدها، وإن كان يلمح إليها ويبني عليها حصيلته المعرفيّة؛ في أنّ الابتكارَ معيارُ التَّفاضُل بين المبدعين، لا التَّقليد، وأنَّ فضيلة الإبداع في السَّبق الفنّيّ لا الزَّمنيّ. بيد أنّ فضيلة القراءة النّاقدة التي نثقفها في كلام مُصعب بن عبد الله الزُّبيريّ جاءت بسبقٍ زمنيٍّ فنّيٍّ؛ ذلك أنّها جاءت في حقبةٍ مبكرةٍ من سيرورة الدّرس النّقديّ العربيّ القديم، فكانت بذلك قراءةً مؤسِّسةً حافزةً إلى الارتقاء بالنّقد، وإن تجاهلها معاصروه، كما تجاهلها، أو غفل عنها قرّاؤها في (كتاب الأغاني).

وخامسها: ((**وكان...شاعراً**))، وهذا حكمُ قيمةٍ لا وَصْفُ نوعٍ؛ فليس المقصود به ناظمَ الشِّعر، بل جيِّد الشِّعر؛ فقد جرت عادة العرب على استخدام مصطلح (الشَّاعر) في الدّلالة على الرُّتبة الرَّفيعة من الشَّاعريّة؛ ولذا قال نابغة بني ذبيان لحسّان بن ثابت: ((أَنْشِدْ فَوَ الله إنّك لَشاعرٌ قبلَ أنْ تَتَكَلَّم))[4]. وقال محمّد بن سلّام، معاصر مُصعب، في بعض المنظوم إنّه: ((ليس بشعرٍ، إنّما هو كلامٌ مؤلَّفٌ مَعقودٌ بِقَوَافٍ))[5]، وقيل: ((شَعَرَ: قال الشِّعْرَ، وشَعُرَ: أجادَ الشِّعْرَ))[6]؛ فالشّاعر حكم قيمة، ولذا أطلقوه على الشِّعر وقائل الشِّعر؛ فقولهم: شعر شاعر ((إنّما يريدون به المبالغة والإجادة))[7]، وقال عبد القاهر في بعض ضروب النَّظم الفاخر: ((وما كان كذلك فهو الشِّعر الشَّاعر، والكلام الفاخر، والنَّمط العالي الشَّريف، والذي لا تجده إلّا في شعر الفحول البُزَّل، ثمَّ المطبوعين الذين يُلْهَمون القول إلهاماً))[8].

---

[1] ((**الفَصاحَةُ: البَيانُ، وكلامٌ فَصيحٌ؛ أي بَليغٌ**))، ***لسان العرب***، **(فصح)، 3419/5 ـ 3420.**

[2] **ينظر: *كتاب أسرار البلاغة*، 141، *وكتاب دلائل الإعجاز*، 96، 97، 254، 255، 263، 282، 363، 366، 371، 422، 426، 427، 482، 484، 486، 489، 500، 507، 508، 509.**

[3] ***كتاب دلائل الإعجاز*، 43.**

[4] ***كتاب الأغاني*، 10/3.**

[5] ***طبقات فحول الشّعراء*، 8/1.**

[6] ***لسان العرب*، (شعر)، 2274/4.**

[7] ***الكتاب*، 3 / 385.**

[8] ***كتاب دلائل الإعجاز*، 88، 89.**

وسادسها: ((**وكان...مِقْوَلاً**))؛ والمِقْوَلُ: حَسَنُ القَول، اللَّسِنُ، وكثيرُ القَولِ، والبَيِّنُ ظَريفُ اللِّسَان [1]. فبِمَ راقَ عمرُ النَّاسّ؟

لقد راقَهم بشعره لما فيه من عناصر الجودة الفنِّيَّة، ونلمح في التَّركيب مجازاً؛ فما أعجب النَّاس هو شعر عمر، ولا غروَ في ذلك؛ فعمر صانع شعره، مَلَكَ أدوات صناعته، وأتقن صنعة الشَّعر، فظفر بما أراد؛ وهو الفوز بإعجاب متذوِّقي الشِّعر، وهذا ما يحلم به كلُّ شاعرٍ، ولعلَّ سِرَّ الإعجاب في شعريَّة شعره التي وقف مصعب على تجلِّياتها في متن عمر الشِّعريِّ، فلم يطلق حكماً مرسلاً، مرتجلاً، على شعر عمر، كما جرت عادة سابقيه في أحكامهم النَّقديَّة، وإنَّما تأمَّله، ونظر فيه، بوصفه وحدةً فنِّيَّةً كلِّيَّةً متماسكةً؛ أي بوصفه نصّاً مكتملاً قائماً برأسه، فأجمل، ثمَّ فصَّل.

وهذا الخبر يدلُّ على ذوقٍ جمعيٍّ، يعبِّر عن وعيٍ جمعيٍّ، ولعلَّنا نستطيع القول: إنَّ ذائقة مصعبٍ تنحلُّ في الذَّائقة الجمعيَّة، فيغدو مصعبٌ ناطقاً باسم متذوِّقي الشِّعر في ذلك العصر، أَيُعَبِّرُ مصعبٌ عن الذَّائقة الجمعيَّة للبيئة الحجازيَّة ووعيها الجماليِّ في تلك الحقبة أم يندفع إلى الأمام متجاوزاً المكان والزمان؟ هل اقتصرت شهرة عمر، وتفضيل شعره على البيئة الحجازيَّة؟ وقد ذهب بعضهم إلى أنَّ تاريخ الذَّوق يوازي تاريخ الأدب والنَّقد الأدبيّ. [2] أليس في مكنتنا القول: إنَّ لكلِّ عصر بصمته الذَّوقيَّة التي تختصر القيم الجماليَّة التي ينفرد بها؟

لقد أجمل مصعب في هذا الخبر، ثمَّ فصَّل، و يحمل هذا التَّفصيل في جوفه بيان أسباب الحكم وعلله، وهذا التَّعليل يدلُّ على ارتقاءٍ في التَّفكير النَّقديِّ؛ فالأحكام النَّقديَّة، عند العرب، في مرحلة البدايات، كانت في معظمها غير معلَّلةٍ، ولا شكَّ في أنَّ الحكم الذَّوقيَّ يكتسب بالتَّعليل قدراً من الموضوعيَّة. وكأنَّ مصعباً يسوق هذه القرائن النَّصِّيَّة التي نقرأ فيها السَّبق، والبراعة، والابتكار، لتسويغ حكمه النَّقديِّ الَّذي ينصُّ على أنَّ عمر بزَّ أقرانه من الشُّعراء. أليس إقرار جريرٍ، لعمر بالقبض على ما كان الشُّعراء يحومون حوله، وينقِّرون عنه، فلم يظفروا به، دليلاً آخر على سبق عمر وتفوُّقه في باب الشِّعر؟ فجرير عاصر عمرَ، وهو رأس الطَّبقة الأولى من فحول الإسلاميِّين في طبقات ابن سلَّام[3].

ويذكر لمصعب أنّه ماز المعنى الشِّعريَّ من المعنى المجرَّد الدَّالِّ على الفكرة أو الموضوع، فكان النَّبْرُ على معاني عمر المصوَّرة؛ ومنها: استنطاق الرَّبع، وإنطاق القلب، وأَسْر النَّوم، وغَمُّ الطَّير، وتحيير ماء الشَّباب، وإنكاح النَّوم، وجني الحديث.

وتحفل لغة مصعب النَّقديَّة بالمجازات التي يمكن الوقوف عليها وراء الصِّياغة اللُّغويَّة؛ ومنها: شِدَّة الأَسْر، وطُلاوة الاعتذار، فهذه اللُّغة النَّقديَّة ليست محدَّدة المصطلحات مضبوطة الدَّلالة، وهذا الوصف يصحُّ في وصف لغة النَّقد في تلك الحقبة؛ فهي لغةٌ مجازيَّةٌ، انطباعيَّة، غير دقيقة، ولقد أحسن إسحاق الموصليُّ وصف هذا اللَّون من التَّفكير بقوله: ((إنَّ منَ الأشياءِ أشياءَ تُحيطُ بها المَعْرِفَةُ، ولا تُؤَدِّيها الصِّفَةُ))[4].

---

[1] **ينظر: *لسان العرب*، (قول)، 3778/5.**

[2] **أحمد الشّايب، *أصول النَّقد الأدبيّ*، 129.**

[3] ***طبقات فحول الشّعراء*، 2 / 297.**

[4] **الآمدي، *الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتريّ*، تح. السّيّد أحمد صقر، 1 / 414.**

الاستنتاجات والتّوصيات:

يتوخَّى مُصعب في هذا الخبر النَّقديِّ أن يرصد انطباعات المتلقِّين؛ (من أهل العلم بالشِّعر)، عن أسرار الجمال والتَّفوُّق في إبداع عُمرَ بن أبي ربيعة، فيُجمِل ذلك كلَّه، ثمَّ يُفصِّل مستعيناً بالقرائن النَّصِّيَّة. والحصيلة المعرفيّة: أنّ مُصعباً، فيما تقدَّم، لم يكتف بالآراء الانطباعيّة التَّأثُّريَّة، ولم يكتف بالأحكام الفنّيّة المبنيّة على قرائنَ نصِّيَّةٍ، بل تجاوز ذلك إلى تقويم تجربة عُمرَ الإبداعيّة مستنداً إلى رؤيةٍ كلِّيَّةٍ، وهذا الانعطاف في الرُّؤية يفتح أفقاً جديداً للنَّقد العربيِّ القديم؛ ذلك أنّ ما ذكره مُصعب أمثلةٌ ونماذجُ ممّا أدركه في نتاج عُمر، بيد أنّ هذه الأمثلة وتلك النّماذج تعبِّر عن ظواهر فنّيّة مطَّردة في نتاجه، وافرة ، متفاعلة، متكاملة، وهذا ما تثبته قراءة ديوانه، وتلك الأحكام النّقديّة التي ساقها مُصعب في تقويم شاعريّة عُمر؛ فهو شاعر، مُعجِب، متفوِّق، بارع، فَصيح، مِقْوَل، شديدُ أَسْرِ الشِّعر. وبذلك كلِّه مضموماً إلى ما تقدَّم من أحكامٍ انطباعيَّة، وأحكامٍ فنّيّةٍ يرصد مُصعب تلك الآفاقَ التي يتفاعل فيها المبدع والنَّصُّ والمتلقِّي، باحثاً عن أسرار شاعريَّة عُمر بن أبي ربيعة، وشعريَّة نتاجه، ولعلَّه أوَّل ناقدٍ عربيٍّ يرتاد تلك الآفاق، فيسبق نظراءه، وهو كذلك أوَّل ناقدٍ عربيٍّ يخصُّ بالدَّرس ديوانَ شاعرٍ؛ متوخِّياً الكشفَ عن البصمة الأسلوبيَّة الخاصَّة بالمبدع؛ فالشِّعر ـ والحال هذه ـ ليس كلاماً منظوماً مقفًّى يدلُّ على معنى، وليس ديوانَ العرب وسجلَّ أيّامها وأحكامها ومفاخرها، وليس ما تألفه النُّفوس، وتطرب له الأسماع، كما زعم بعض القدامى، بل هو فنٌّ، وإبداع، وابتكار، وسبق، ونتاج مخيِّلة.

وإنّما تتفاوت النّصوص، ويتفاضل المبدعون، في ابتداء الصَّنعة، وجودتها، فليس كلُّ منظومٍ شعراً، وهذا يثير أسئلة جديدة، ويحفز إلى دراساتٍ جديدةٍ تروم البحثَ عن الشِّعر الحقِّ في ديوان كلّ شاعرٍ، وفي ديوان المنظوم عامَّةً، سعياً إلى تأريخ منصف للشِّعريَّة العربيَّة، يستنقذ نُحَفَها الفنّيّةَ، ويؤسِّس لدرس نقديٍّ منهجيٍّ مفيداً من تلك الالتماعات النَّقديَّة التي نثقفها عند مُصعبٍ ومتقدِّميه، ومن الرُّؤى النّاضجة التي جاد بها من أتوا بعده.

المصادر والمراجع:

ـ *القرآن الكريم*.

ـ الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، *الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتريّ*، تح. السَّيِّد أحمد صقر، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1992، ج1.

ـ أدونيس، علي أحمد سعيد، *الثّابت والمتحوّل (بحث في الإبداع و الاتّباع عند العرب)*، ط7، دار السّاقي، بيروت، 1994،ج1.

ـ الأصفهانيّ، أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد القرشيّ، *كتاب الأغاني*، أشرف على مراجعته وطبعه العلّامة الشّيخ عبد الله العلايلي، وموسى سليمان، وأحمد أبو سعد، دار الثّقافة، ودار مكتبة الأندلس، بيروت، 1955م، ج1.

ـ البغداديّ، الخطيب؛ الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت، *تأريخ بغداد (تأريخ مدينة السّلام وأخبار*

مُحَدِّثيها وذكر قُطَّانِها العلماء من غير أهلها وواردِيها)، حقّقه، وضبط نصّه، وعلّق عليه: د.بشّار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1422هـ = 2001م.

ـ ابن ثابت، حسّان، *ديوان حسّان بن ثابت* ، حقّقه وعلّق عليه: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، 1974، ج1.

ـ ابن ثور، حُمَيد، *ديوان حُمَيد بن ثور الهلالـيّ* ، صنعة الأستاذ: عبد العزيز الميمني، ط 2، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1995.

ـ الجرجاني، عبد القاهر، *كتاب أسرار البلاغة* ، قرأه وعلّق عليه: أبوفهر محمود محمّد شاكر، ط 1، مطبعة المدني،القاهرة، ودار المدني، جدّة، 1412 هـ=1991م.

ـ الجرجانيّ، عبد القاهر، *كتاب دلائل الإعجاز*، قرأه وعلّق عليه: أبوفهر محمود محمّد شاكر، ط3، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ودار المدنيّ، جدّة: 1413هـ=1992م.

ـ جرير، *ديوان جرير*، شرح: محمّد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمّد أمين طه، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1986.

ـ ابن جعفر، قدامة، *نقد الشّعر*، تحقيق: كمال مصطفى، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي.

ـ الجمحيّ، محمّد بن سلّام، *طبقات فحول الشّعراء* ، قرأه وشرحه: أبوفهر محمود محمّد شاكر، دار المدنيّ، جدّة، 1980.

ـ حسين، طه، *حديث الأربعاء*، ط14، دار المعارف، مصر، 1993، ج1.

ـ الخفاجي، ابن سنان، *سرّ الفصاحة*، تحقيق: علي فودة، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414هـ=1994م.

ـ ابن خلدون، *مقدّمة ابن خلدون*، تح. د. علي عبد الواحد وافي، ط3، دار نهضة مصر، القاهرة، ج3.

ـ ابن خَلِّكان، أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر، *وفيات الأعيان*، حقّقه: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1978، ج:1، 2.

ـ الدّينوريّ، ابن قتيبة، *الشّعر والشّعراء*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1996، ج1.

ـ الذّبيانيّ، النّابغة، *ديوان النّابغة الذّبيانـيّ* ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1990.

ـ ابن أبي ربيعة، عمر، *شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة* ، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط 2، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1403هـ=1983م.

ـ ابن ربيعة العامريّ، لبيد، *شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ*، حقّقه وقدّم له: د. إحسان عبّاس، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1984.

ـ الزّركليّ، خير الدّين، *الأعلام*(*قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*)، ط17، دار العلم للملايين، بيروت،2007 ، ج7،4،1.

ـ السّكّاكيّ، أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن عليّ، *مفتاح العلوم* ، حقّقه وقدّم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1420هـ=2000م.

ـ ابن أبي سُلْمى، زهير، *شرح شعر زهير بن أبي سُلْمى* ، صنعة أبي العبّاس ثعلب، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1402هـ=1982م.

ـ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، *الكتاب*، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج1.
ـ الشّايب، أحمد، أصول النّقد الأدبيّ، ط8، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
ـ القزويني، الخطيب، *الإيضاح في علوم البلاغة*، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمّد عبد المنعم خفاجي، ط6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985.
ـ مطلوب، د.أحمد، *معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها*، ط2، مكتبة لبنان– ناشرون، بيروت، 1996.
ـ مطلوب، د.أحمد، *معجم مصطلحات النّقد العربيّ القديم*، ط1، مكتبة لبنان– ناشرون، بيروت، 2001.
ـ ابن منظور، *لسان العرب*، تحقيق: عبد الله عليّ الكبير، ومحمّد أحمد حسب الله، وهاشم محمّد الشّاذلي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1986.